من وراء البحار

انجلترا والتجارة العالمية

يرى مستر هنرى كلاى الذى ظل عشر سنوات مستشاراً اقتصاديا لبنك انجلترا ، وكان أستاذاً للاقتصاد فى جامعة مانشستر ، وهو الآن مراقب فى كلية نوفليد بأوكسفورد ، أن الدور الذى تقوم به انجلترا فى التجارة العالمية آخذ فى الاضمحلال . وقد شرح هذا الرأى فى مقال كتبه بمجلة الشؤون الخارجية الأمريكية (عدد أبريل سنة ١٩٤٦) وفيه بسط مركز انجلترا فى تجارة العالم قبل الحرب العالمية الأولى ، حيث اتخذ هذا المركز دليلا على ما أصاب هذه التجارة من نقصان . فقد كان مركز انجلترا قبل تلك الحرب من حيث سياستها الاقتصادية وتنظيمها فى السنوات العشرين السابقة على سنة ١٩١٤ فريداً فى بابه ليس له مثيل فى عصر آخر أو فى بلد آخر . فأولا كانت حرية التجارة مطلقة ونقل الأموال حراً ، وكان احتياطى الذهب يتراوح بين ثلاثين وأربعين مليونا من الجنيهات الانجليزية فقط ، ومع ذلك كانت الثقة فى الأسواق لا تتزعزع ، ومثل هذه الحرية دليل على التوازن فى العلاقات التجارية والمالية بين أهم بلاد العالم .

وكانت العلاقات الخارجية تعكس صورة الصناعة البريطانية فى الداخل ؛ فقد كانت قائمة على التخصص الكبير فى الصناعة من أجل الاصدار والتجارة الدولية . وكان أهم الصناعات المنسوجات والفحم والآلات الهندسية وبناء السفن . وكان الغرض الأساسى الذى تعمل له هذه الصناعات هو الاصدار أولا وآخراً . وأدى هذا التوسع إلى خاصة أخرى من خصائص انجلترا هى أنها أهملت الزراعة ، فكان عدد المشتغلين بها ٧ ٪ فقط . فكانت انجلترا أكبر دولة تجارية فى العالم وهى مركز نشاط اقتصادى دولى لم يكن له مثيل فى التاريخ بعد الامبراطورية الرومانية .

ثم قامت الحرب العالمية الأولى ، ولسنا نعرف حتى الآن مدى تأثيرها . ومن الطبيعى أن انجلترا لم تكن لتستطيع أن تحتفظ طويلا بمركزها الممتاز حتى لو لم تقم الحرب . على أن من أوائل آثار الحرب أنها تقف النشاط فى التجارة وتقطع من أوصالها ، وتحول دون المرونة فى التغير تبعاً لظروف الأحوال . لذلك وجدت الصناعة البريطانية نفسها فى سنة ١٩٢١ أمام تغير فى الأسواق استمر ست سنوات ، واضطرت إلى أن تعمل على التحول بحيث تلائم هذه التغيرات ، مع وجود ضعف فى التجارة .

على أن بريطانيا لم تعن عناية جدية بهذا التغير ، وظلت عشر سنوات تظن ان السبب فى الأزمة هو الانخفاض الدورى فى التجارة ، وفى هذه الأثناء صار التحول ثابتاً . ولم يعد فى الامكان اكتساب بعض ما فقد بالرغم من إصرار الانجليز على التطلع لما قبل الحرب .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية . ولننظر قليلا إلى ما ينتظر أن يكون عليه موقف انجلترا فى التجارة : هل هنالك من شك فى أن موقفها سيكون مثله فى الحرب العالمية الأولى ، بل على الغالب أسوأ حالا ؟ لقد عرفت الأسواق الخارجية كيف تقوم بحاجاتها ، وشجعت

انجلترا نفسها على ذلك ، فالهند الآن لها صناعة قطنية تزيد على صناعة لنكشير . وهى قادرة على اكتساب كثير من الأسواق الخارجية القليلة التى بقيت للنكشير ، وفى أستراليا صناعة صلب أرخص فى جهات كثيرة عن الصناعة الانجليزية . وفى الهند واستراليا صناعة تعدين وهندسة أوجدتها الحرب . ولا شك فى أن ذلك سيسبب قيام مشكلة حادة فى انجلترا بالنسبة للبطالة فيما بعد الحرب . ومن المحتمل أن تعمل الحكومة الانجليزية على تشجيع السوق الداخلية ، فيقوم الاقتصاد الوطنى على حماية السوق الوطنية بدلا من الاصدار الخارجى ، أجل ! إن انجلترا ستظل دولة تجارية عظيمة ، ولكن لن تكون مركز الصناعة القائمة على الاصدار للخارج .

قد يعترض بأن اهتمام انجلترا بالاصدار ليس بنتيجة اختيار وإنما هو نتيجة اضطرار . فتعدادها سبعة وأربعون مليونا ، وهى لا تستطيع أن تطعم نفسها ولا أن تمون صناعاتها بالمواد الأولية إلا بالاستيراد الواسع النطاق ، وإذن فلا بد لها من الاصدار . ومن الأمور القاطعة أن انجلترا لا تستطيع أن تستقل بمواردها عن العالم .

على أن انكماش الصناعة فى انجلترا لم يؤد إلى نزول فى مستوى المعيشة لدى السكان ، بل تحسن هذا المستوى . ولا نقول إن نقص الصادرات كان سبباً فى هذا التحسن ، بل الأصح أن نقول إن الأمرين قد يسيران معاً .

ثم إنه لوحظ أن انجلترا تستطيع أن تكيف نفسها فى الحرب بحسب الأحوال . فقد خفضت وارداتها إلى النصف ، وزادت فى إنتاج طعامها محليا نحو ثلاثين فى المائة وزادت صناعتها فى التسليح زيادة عظيمة ، وذلك يدل على مرونة فى التكيف بحسب الظروف . وإذا كان من المحتمل أن تصير التجارة الخارجية أقل حجماً ، فأنه ليس فى استطاعة انجلترا أن تقلل مما تدفعه فى الخارج ، وقد تستطيع أن تسد هذه الهوة بالاستدانة مؤقتاً ، ولكنها لا تستطيع أن تستمر على ذلك طويلا .

كتاب فرنسى جديد

ظهر فى عالم الكتب بفرنسا كتاب جديد قابله النقاد مقابلة حاسية وأثنوا عليه ، وهو كتاب « قصص غير مثالية » من تأليف فرنسوا ڤرنيه .

والمؤلف شاب فرنسى توفى بمعتقل داشاو ، وهو المعتقل الألمانى الشهير ، فى ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥ إذ أصيب بحمى التيفوس فانتهت حياته وهو فى السابعة والعشرين من عمره . وكان معروفا فى أوساط المقاومة باسم سنتير ، وقد سجن قبل نقله إلى المعتقل الألمانى فى غرفة صغيرة بسجن فرين خط على حوائط غرفته ستين قصيدة من الشعر ستنشر قريباً فى ديوان مستقل .

وقد نشر أول كتاب له وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، واسمه «ذلك الوقت السعيد» . ونشر له فى باريس فى سنة ١٩٤٤ كتاب اسمه « لن تموت » نقله أحد الفرنسيين فى حقيبته إلى معتقل داشاو ، ولكنه لسوء الحظ وصل متأخراً إذ كان المؤلف قد دخل فى دور النزع .

وكتاب القصص غير المثالية عبارة عن مجموعة من ست قصص كتبها فى تلك الأيام التعسة

التى مرت بفرنسا ، فوصف رجال فرنسا ووقع الاحتلال الأجنبى فى نفوسهم وما يجول بخواطرهم من آلام وآمال .

وقد أطلق على أشخاص القصص أسماء رمزية استعارها أحيانا من الأساطير القديمة ، وأحيانا من الأسماء التى تطلق على الصور فى أوراق اللعب ، فما الأشخاص فى ذلك الزمن التعس إلا لعبة للأقدار . ولقد فهم فرنيه ما فى موقف رجال فرنسا حين ذاك من روح صناعية ، وشعر بما فى هذه السنوات من هذه الروح ووصفها بعين شاعر . ولقد صدق حين جعل أحد أشخاص قصة من قصصه يقول : « إن هنالك شيئاً واحدا يحملك على ان تعشق الحرية إلى الأبد ، وهو أن تكون قد خضعت مرة لسلطان الظلم » .

جومون واختراعاته السينمائية

اخترع مسيو ليون جومون المخترع السينمائى الشهير ، وهو الآن فى الثالثة والثمانين من عمره ، اختراعاً جديداً كما تروى نشرة الأخبار الفرنسية .

فهو يعيش فى ضيعة بجهة توريل على مقربة من بلدة سانت مكسيم بفرنسا ، يعيش وحيداً بعيداً عن معمله ، ومع ذلك أخذ يضع القواعد لفكرة جديدة لا بد أن يكون لها تأثير فى العادات ، ولا بد أن تحدث ثورة فى الحياة العملية ، وهذا الاختراع هو أقرب إلى الأساطير والتكهنات منه إلى الحقيقة ؛ فهو عبارة عن « المراسلة الحية بواسطة السينما » وذلك بأن تعد ورقة بسيطة من أوراق المراسلة إعداداً خاصاً حتى يمكن عليها تسجيل صوت المرسل وصورته . فينشأ عن ذلك أن المرسل إليه ، بواسطة طريقة مشابهة للوحة الحساسة ، يسمع صوت المرسل ويرى صورته .

وليس تحضير ورقة الرسائل مشابهاً لما فى التصوير الشمسى ، الذى يكون بواسطة الحمام المحتوى على الأملاح ، وإنما يكون تحضيرها بواسطة عملية غازية .

ولا شك أن عالم السينما يذكر مسيو ليون جومون بما له من اختراعات عدة ، أهمها « الكرونوفون » الذى قدمه لأكاديمية العلوم بفرنسا فى سنة ١٩١٠ ، وفيه وافق بين الصورة والصوت ، وكان هو أول من أخرج شريطاً بالألوان فى سنة ١٩١٩ اسمه « موكب النصر » .

المجلس البريطانى ونشاطه

فى يولية سنة ١٩٤٥ أى على أثر نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان المجلس البريطانى — كما جاء فى تقريره عن سنة (١٩٤٤ — ١٩٤٥) — قد بلغ عشر سنوات من نشاطه . إذ أنشىء هذا المجلس بقصر سان جيمس فى يولية سنة ١٩٣٥ . وفى هذه السنوات العشر تداول رياسته أربعة من رجال انجلترا البارزين ، وهم لورد تيرل ، ولورد استاس بيرسى ولورد لويد ، والسير مالكولم روبرتسون ، وارتفعت الاعانة التى خصصت له من خمسة آلاف جنيه عند إنشائه إلى مليونين وستمائة ألف فى نهاية هذه السنوات العشر ، لما بدا من نفعه ، إذ أصبح عاملا مهماً فى العلاقات بين بريطانيا والبلاد الأخرى .

ويتبين من هـذا التقرير أن نشاطه امتد إلى إحدى وثلاثين دولة أجنبية أو مستعمرة بريطانية ، وله ممثلون فيها بمثل هذا العـدد . وقد أنشأ تسعة وتسعين معهداً بريطانيا فى البلدان المختلفة ، كما امتد نشاطه إلى اليونان ويوغسلافيا وإيطاليا وإلى البلاد المحتلة من ألمانيا فى ربيع سنة ١٩٤٥ . وزاد عدد الجمعيات الثقافية التابعة للمجلس فى أمريكا الجنوبية من ٢٧ جمعية فى سنة ١٩٤١ إلى ٤٦ جمعية فى سنة ١٩٤٥ .

وفى مارس سنة ١٩٤٥ كان المجلس يدرس اللغة الانجليزية لأكثر من عشرة آلاف طالب فى تركيا .

وعين بفضـل مجهودات المجلس ٣٧ أستاذاً بريطانيا فى الجامعات الأجنبية ومعاهد التربية العليا ، وأرسل ١٦١ من متخرجى الجامعـات الأجنبية إلى بريطانيا ليزودوا من العلم فيها .

وفى سنة ١٩٤٠ كان المجلس قد بدأ يطبع سلسلة من النشرات باللغة الانجليزية ، وبلغت هذه السلاسل فى سنة ١٩٤٥ ستا وعدد اللغات تسعا ، وأخرج المجلس فى هذه الفترة ثمانين شريطاً سينمائياً وزع فى أربع وثمانين جبهة ، وقد استعمل فى شرحها اثنتان وعشرون لغة .

وقد حدث فى السنين الأخـيرة تطوران هامان فى تنظيم المجلس : أولهما إنشاء لجنة استشارية للدراسات الأدبية ، وثانيهما إنشاء قسم زراعى تابع للقسم العلمى .

ومن البلاد التى يشملها نشاط المجلس غـير البلاد التابعة للامبراطورية البريطانية أو الداخلة البلجيك ، وليس بها معهد تابع للمجلس للآن ، وإنمـا أظهر المجلس نشاطاً فيها وأرسل أساتذة عديدين لتعليم اللغـة الانجليزية ، وعين مستر بليك ممثلا للمجلس فى تشيكوسلوفاكيا ، وأخذ المجلس فى تعيين ممثل فى فنلندة .

وفى فرنسا كان المجلس قدافتتح داراً سنة ١٩٣٩ فى الشانزليزيه فعاد رجاله إليها كما أعيد افتتاح المعهد البريطانى فى شارع السربون حيث وجدت مكتبته سليمة بفضل موظفيها من الفرنسيين وحماية جامعة باريس .

وفى اليونان عاد المجلس إلى نشاطه الذى ابتدأه قبل الحرب . وبدأ المجلس نشاطا جديداً فى ايسلاندا ، كما بدأ نشاطا جديداً فى إيطاليا وفى هولاندا . وفى البرتغال نظم المجلس فى عاصمتها زيارات ومعارض ومسرحيات وحفلات موسيقية ، وأمدها بالـكتب الانجليزية والمدرسين . وفى أسبانيا ثلاثة معاهد بريطانية ، يبلغ عدد طلبتها نحو خمسة آلاف . وبدأ المجلس منذ ثلاث سنوات نشاطاً فى السويد ، وتألفت إدارات للاستعـلامات عن المسائل الانجليزية ، وأبدى نشاطاً فى خدمة الفنون والآداب . وفى تركيا يتزايد الاقبال على مفشآت المجلس ومعاهده ومكتباته . وفى أثيوبيا افتتح عدة معاهد فى مدن تلك الدولة . وفى العراق توجد خمسة معاهد ومدرسة لتربية الأطفال ، وفى إيران توجد أربعة معاهد فى مدن مختلفة ، وكان نشاط المجلس عظيما .

وللمجلس أيضا نشاط عظيم فى الأرجنتين والبرازيل وشيلى وكولومبيا وكوبا والمـكسيك وبيرو واكوادور وباراجواى ويوروجواى وفينزويلا وخمس من دول أمريكا الوسطى . وله نشاط عظيم فى أرجاء الصين .

ولسنا فى حاجة إلى ذكر مجهودات المجلس فى أنحاء القطر المصرى . ولا ريب فى أن هذا التقرير مفيد جداً لمن يريد أن يطلع على نشاط الثقافة الانجليزية فى أنحاء العالم .

الدعاية فى أواسط إفريقية

فى المجلة الجغرافية الانجليزية (عدد مارس ١٩٤٦) بحث شيق فى تجربة قامت بها الدعاية الانجليزية فى إفريقية لتثقيف جماهير الافريقيين من الذين يعيشون عيشة بدائية فى أواسط تلك القارة وشرقيها . وقد كتب هـذا البحث مستر أليك دكسون الذى أشرف على هـذه التجربة ، ولم يكن الغرض منها إلا الدعاية للحرب .

ابتدأت التجربة أولا تحت ضغط الحاجة إلى المتطوعين فى قيادة شرق إفريقية ، فقد ذهب الزمن الذى كان يتقاطر فيه أهل البلاد للخدمة العسكرية البريطانية فى جميع أنحاء تلك الجهات .

ويروى مستر ديكسون أن بعض أهل البلاد كانوا يقدرون موقف بريطانيا ، وقد كتب طالب فى إحدى المدارس يقول : « إن الرق ليس غريباً عن الأفريقيين ولـكنهم يضارون بالألمان أكثر من غيرهم ، إذ أن هتلر يعتبرهم من القرود . »

هذا ما كتبه الطالب، ولـكن كثرة الأفريقيين من المتعلمين أو أنصاف المتعلمين على قول مستر ديكسون يفكرون تفكيراً آخر ، فهم يقولون : « لقد أقنعنا الأوربيون بأن نعدل عن الحروب ، وهاهم أولاء يتقاتلون » أو هم يرون « أن الـكثير من الأمم الأوربية لا تفهم كيف تؤثر فيها الحرب ولذلك بقيت على الحياد ، إذن كيف يفهم الأفريقيون أن الحرب تؤثر فيهم ؟ » ثم إنه كانت هنالك دعايات أخرى انتشرت بينهم لاسيما فى يوجندا، إذ أخذ الناس يزعمون أن الحقن التى تعطى للجنود قبل رحيلهم تسبب العقم . ولا ريب فى أن الدعاية الالمانية كانت قد بلغتهم . ولعل أكبر أنواع تلك الدعاية كانت الانتصارات الـكبيرة التى تردد صداها فى أنحاء العالم . فلقد سمع أحد رجال الدعاية الانجليزية رجلا من أهل تلك الجهات يسأل عند ما رأى شريطاً سينمائياً يمثل الدبابات الانجليزية : « عجباً ! هل لدى الانجليز دبابات أيضاً ! »

رأت القيادة البريطانية فى تلك الجهات أن تعالج هذا الأمر ، فقر رأيها على أن تعتمد على فريق من العساكر المدربين الذين يمثلون خير أبناء تلك الجهة ، لـكى يشرحوا لمواطنيهم الحرب والغرض منها. وكانت هذه الفرقة تنتقل فى أرجاء تلك البلاد الواسعة ، وقد قطعت مايزيد على ثلاثين ألف ميل وحضر العرض اكثر من مليون من الأنفس .

وكان أساس هذا العرض قائماً على التمرينات الرياضية ؛ فان عرض الأسلحة لدى هؤلاء الشعوب قد يكون خطراً ، وقد يكون مخيفاً . أما التمرينات الرياضية فانها تؤثر فيهم عند مايرون أبناء جلدتهم وهم يقومون بها . ولقد كتبت إحدى الوطنيات تصف تأثير هذا العرض فيها تقول : « إنهم حمل بعضهم بعضاً كالقردة ، وتسلق بعضهم فوق بعض كالملائكة ! » ووصفت أخرى قفزاتهم السريعة بأنها شبيهة بنور البرق فى العاصفة .

وقد استعملت مكبرات الصوت فى وصف العرض ولـكن كثيراً ماكان تأثيرها فى بعض القبائل مغايراً لما أراد العارضون .

وكان من المناظر المؤثرة فى الأهالى عرض الجنود الأفريقيين فى أزياء قديمة ثم فى أزيائهم الحديثة التى يرتديها الجنود الآن .

ويرى مستر ديكسون أنه من السهل الاستمرار فى تثقيف الجمهور الافريقى فى زمن السلم ، على أن يعهد فى ذلك لوحدة من وحدات الجيش ، وأن يكون العمل تحت إمرة الجيش .